



## (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين )

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك وأشهد أن محمداً عبده ورسوله اللهم صل عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فإن الله خلق الخلق ليعبدوه وأوجدهم في الدنيا ليطيعوه وينتقوه قال تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: 56] وقال تعالى {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} [الحجر: 99] والمعنى اعبد ربك في الصيف والشتاء، في الصحة والسقم، في الفقر والغنى، اعبد ربك على كل حال حتى يأتيك اليقين أي (الموت)

إن الإنسان لو عاش على الطاعة وداوم عليها فإن الله الكريم يستحي أن يقبضه على معصية قال ابن كثير (أحد علماء تفسير القرآن) في تفسير قوله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: 102] أي حافظوا على الإسلام في حال صحتكم وسلامتكم لتموتوا عليه فإن الكريم قد أجرى عادته بكرمه أنه من عاش على شيء مات عليه ومن مات على شيء بعث عليه يوم القيامة .

فالإنسان الذي يداوم على الطاعة فإن الله يستعمله في عمل الخير عند خاتمته فعن الصحابي الجليل أنس بن مالك -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال : ( إذا أراد الله بعيد خيرا استعمله، فقيل كيف يستعمله يا رسول الله؟ قال: يوفقه لعمل صالح قبل الموت) الترمذي إن كل مكان في الأرض سجدنا فيه سجدة لله تعالى سيشهد لنا أمام الله يوم القيامة قال تعالى مخبراً عن حال الأرض يوم القيامة {يَوْمَئِذٍ تُخَبِّئُ أَخْبَارَهَا} [الزلزلة: 4] فلما قرأ رسول الله هذه الآية قال: أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها تقول عملت كذا وكذا في يوم كذا وكذا فهذه أخبارها - الترمذي

ولنا في رسولنا صلى الله عليه وسلم قدوة فقد كان يأتيه الحزن والهم والغم فيقول عند إقامة الصلاة: أرحنا بها يا بلال، أي بالصلاة، تأتيه المصائب والكوارث فيقول: أرحنا بها يا بلال، يموت أبناؤه وأحبابه وأصحابه ويقتل جنوده ويهزم جيشه فيقول: أرحنا بها يا بلال، فقد كان يجد راحته في العبادة، يقول الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- صليت مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأطال حتى هممت بأمر سوء، قيل: وما هممت به؟ قال: هممت أن أجلس وأدعه - مسلم

لقد غفر الله للنبي صلى الله عليه وسلم ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكان يقوم الليل حتى تتورم قدماه، وتقول له زوجته السيدة عائشة -رضي الله عنها- يا رسول الله لقد غفر لك ربك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فيجيب قائلاً : يا عائشة أفلا أكون عبداً شكوراً.

وفي غزوة الأحزاب (الخدق) حينما هاجم المشركون المسلمين وحاصروهم في المدينة فانشغل النبي صلى الله عليه وسلم بالدفاع عن المدينة حتى فاتته وقت الصلاة المفروضة (العصر) وغربت الشمس فلما غربت الشمس قال (ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً) كما شغلونا عن الصلاة الوسطى ثم قام فصلاها) فتأمل حال النبي صلى الله عليه وسلم في حال الشدة تكون راحته في أداء العبادة، وفي حال النعمة يشكر ربه بأداء العبادة ويحزن أشد الحزن إذا فاتته العبادة.



وعلى هدي النبي صلى الله عليه وسلم سار الصحابة والتابعون فحينما مرض ثابت بن عامر - أحد التابعين - وسمع آذن المغرب, فقال لأبنائه: احملوني إلى المسجد, قالوا له : أنت مريض وقد عذرك الله, قال لا إله إلا الله, اسمع "حي على الصلاة, حي على الفلاح" ثم لا أجيء, والله لتحملوني إلى المسجد, فحملوه إلى المسجد ولما كان في السجدة الأخيرة من صلاه المغرب قبض الله روحه, وقد كان - رحمه الله- إذا صلى الفجر قال اللهم إني أسئلك الميته الحسنة, قيل له: وما الميته الحسنة؟ قال: أن يتوفاني ربي وأنا ساجد, فاستجاب الله له.

هذه هي الميته الحسنة أن يتوفاك ربك وأنت في عباده, والميته القبيحة هي أن يتوفاك ربك وأنت على معصية, ودائما ما كان الصالحون يسألون الله أن يجنبهم ميته السوء

وقد يقول قائل كيف أموت على طاعة والجواب هو ما قاله أبو حازم سلمة بن دينار - أحد التابعين- (كل ما لو جاءك الموت عليه فرأيتة خيرا فالزمه, وكل ما لو جاءك الموت عليه فرأيتة شرا فاجتنبه ) أي إذا أردت أن تموت على طاعة فالزمها وإن كرهت أن يأتيك الموت على معصية فاتركها واعلموا عباد الله أن للطاعة ثمرات وفوائد منها :

1- سبب لمحبه الله عز وجل: وأخبر النبي - صلى الله عليه وسلم- أن الله تعالى قال في الحديث القدسي: (وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه) البخاري

2- هي سبب للنجاة من الشدائد والمحن: يقول النبي صلى الله عليه وسلم (تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة) الطبراني

3- سبب لمحو الذنوب: يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفاره لما بينهن ما لم تغش الكبائر ) مسلم

4- الحصول على السعادة وانسراح الصدر: وما من إنسان منا إلا ويبحث عن السعادة, ولن تجد السعادة الحقيقية إلا في الطاعة قال تعالى {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد: 28]

5- ثبات الأجر عند العجز: قال رسول الله صل الله عليه وسلم (إذا مرض العبد أو سافر كتب له ما كان يعمل صحيحا مقيما ) البخاري فإذا كان الإنسان يداوم على الطاعة ومنعه مانع من مرض أو غيره فإنه يأخذ الأجر كاملا.

عباد الله إن القوي هو القوي في طاعة الله, وإن المفلح هو السائر في طريق الله, وإن المتقدم هو المتقدم إلى مرضاة الله, فلنحذر من التسويف في الطاعة, وإذا أردنا النجاة فلننهدي بهدى رسولنا صلى الله عليه وسلم في عبادته فهو أسوتنا وقائدنا إلى الجنة.

كتبه فضيلة الشيخ محمد عبد المنعم السيلي, مبعوث وزارة الأوقاف المصرية إلى مدينة كولينا- البرازيل